



الخدمات الصحية في عصر الإنترنت



د. حمد بن ناصر السناوي
استشاري أول بقسم الطب السلوكي
مستشفى جامعة السلطان قابوس

في الأسبوع الماضي زارني مريض في الثمانين من عمره يعاني من اضطراب في الذاكرة والهلاوس البصرية، رغم أنه بدأ يفقد بصره منذ فترة، وكانت هذه الأعراض تزعجه وتسبب له التوتر والعصبية، وقبل أن أنتهي من أخذ تفاصيل التاريخ المرضي من المريض وابنته التي حضرت معه سبقتني الابنة بسؤال: «دكتور، هل يعاني والدي من المرض الفلاني؟، وتعجبت من الأمر لأن المرض الذي ذكرت ابنته هو التشخيص الفعلي لأعراض الأب وهو مرض نادر نوع ما، فسألتها: «كيف عرفت عن هذا المرض؟ أجابت: «قمت بالبحث عن تفسير لأعراض الوالد من الانترنت فتوصلت لهذا التشخيص».

ممن يعانون من توهم المرض أصبحوا يتفنون في البحث عن التشخيص الذي يمكن أن يقنعهم ولو كان غير صحيح، وفي بعض الأحيان قد تروج بعض المواقع للأفكار المغلوطة نحو مرض معين كالمرض النفسي وكيف أن الأدوية النفسية تسبب الإدمان، حتى إذا ما صدق المريض هذه المعلومة وأوقف تناول الدواء تعرض للانتكاس ولم يجد الإنترنت مفيدا في استعادة استقراره النفسي والصحي.

ولكي نبتعد عن السلبية و التشاؤم يجب أن نذكر أن بعض تطبيقات الهواتف الذكية تقدم محتوى غنيا من المعلومات الصحية والطبية تحت إشراف متخصصين، كما توجد شبكات اجتماعية خاصة بين الأطباء والمرضى تناقش أمراضا معينة كالسرطان أو التوحد أو الزهايمر أو الشلل الرعاشي، وتقوم بتجميع الأبحاث العلمية وطرح أحدث المستجدات في الطرق العلاجية وتقديمها للقارئ بصورة مبسطة لا تبيع الوهم ولا تسعى نحو جني

أثار هذا الموضوع فضولى للتفكير كيف أسهم الانترنت في تغيير طبيعة العلاقة بين المريض والطبيب، فلم يعد الطبيب المصدر الوحيد للمعلومات الطبية، كما أن المريض تحول من شخص مستقبل للمعلومات والنصائح من الطبيب إلى عنصر فعال في الاستشارة الطبية، يشارك في صنع القرارات الصحية التي تهتمه في المقام الأول. ورد في دراسة بحثية نشرتها إحدى الدوريات الطبية العالمية أن ٦٠٪ من المشاركين وجدوا أن المعلومات التي حصلوا عليها من الإنترنت توازي أو أفضل مما حصلوا عليه من الأطباء والممرضين، هذا هو الجانب الإيجابي في الموضوع، ولكن ليس جميع المرضى بهذه الدرجة من الوعي، فالبعض أصبح لديه تصفح الإنترنت والتنقل بين المواقع العديدة فرصة للتشخيص الذاتي الذي غالبا ما يفتقر إلى الدقة، خاصة وأن بعض المواقع تنقصها المصداقية ولا تمتد على الأدلة العلمية في استقصاء المعلومات، حتى إن بعض المرضى



بلغة مبسطة يفهمها عامة الشعب، وعرض إرشادات للإسعافات الأولية بشكل سلسل وسهل. كما يقدم الموقع خدمة تذكير المرضى بالمواعيد حيث انخفض عدد المرضى الذين لا يحضرون لمواعيدهم بنسبة ٤٠٪ ووفر ما قيمته ٥٠ مليون جنيه إسترلينا، كما حقق التطبيق انخفاضا لمعدل الوفيات بنسبة ٤٥٪ و انخفاض نسبة الحضور لأقسام الطوارئ بنسبة ٢٠٪، وكذلك انخفاضا ملحوظا لنسبة الانتحار عبر تقديم خدمة تتيح للشخص المتقدم على الانتحار الاتصال برقم معين للحديث مع شخص يساعده في تجاوز محنته ويثبه عن نيته في الانتحار ويخبره كيف يمكن أن يحصل على جلسة مع الأخصائي أو الطبيب النفسي.

أما في الوطن العربي فتوجد بعض المواقع تعرف بالعيادات الافتراضية التي تقدم الاستشارات النفسية للمرضى في جميع دول العالم عبر الإنترنت حيث تمنحهم فرصة التواصل مع استشاري نفسي أو علاجي متخصص في الحالة التي يعاني منها وإجراء جلسات نفسية باستخدام الحاسب الآلي أو الهاتف الذكي فيسجل المريض موعدا في العيادة الافتراضية ويتواصل مع الطبيب أو المعالج النفسي عن طريق الكاميرا والسماعة فيحكي مشاكله ليقوم المختص بتقديم التشخيص والعلاج مقابل مبلغ رمزي من

المال دون أن يضطر إلى مغادرة بيته. ويمنح الموقع خصوصية وسرية تامة حيث إنه من الصعب اختراقه ولا يقوم بتخزين المعلومات الصحية، كما أنه يتيح للمريض التغلب على وصمة العار المرتبطة بالمرض النفسي حيث أن الجلسات عبر الإنترنت قد تقني عن زيارة المستشفى. وتعد مثل هذه المواقع أكثر شيوعا لدى فئة الشباب وطلاب الجامعات والكليات، حيث إنها تناسب ميولهم نحو التواصل عبر مواقع الإنترنت والشعور بالارتياح أكثر مع التواصل الافتراضي من الحضور شخصيا للعيادة ومقابلة المختص وجها لوجه. إلى جانب تقديم المعلومات الصحية سواء لتشخيص المرض أو الوقاية منه تنتشر التطبيقات المختلفة في الهواتف الذكية أو ما يعرف بالساعة الذكية التي تلبس في اليد وتشبه الساعة العادية وتعمل على قياس الوظائف الحيوية المختلفة للمريض وإعداد التقارير التي يتطلع عليها الطبيب كجزء من التقييم الطبي، فمن التطبيقات ما يقيس مستوى ضغط الدم خلال فترات مختلفة من اليوم ولعدة أيام ثم تقوم بحساب معدل ضغط الدم، وهناك تطبيق آخر لدراسة النوم ومراحله المختلفة، قد يفني من إدخال المريض إلى المستشفى لإجراء بعض هذه الفحوصات.

كما توجد تطبيقات خاصة لمرضى الزهايمر وأمراض الخرف الأخرى حيث يعاني حوالي ٦٠٪ منهم من التوهان وهو أن يخرج من بيته ويتجول في الطرقات دون هدى ثم يجد صعوبة في التعرف على طريق العودة مما يعرضه لحرارة الشمس في الصيف أو الجو البارد في الشتاء، كما يسبب قلقا بالغا لمقدمي الرعاية للعثور عليهم وإعادتهم للمنزل. وتوفر الدول المتقدمة أجهزة تعقب يلبسها المريض على شكل ساعة يد مرتبطة بأجهزة الأقمار الصناعية تستخدم تقنية الـ GPS لتحديد موقع المريض وإرسال البيانات إلى هاتف ذكي ليتمكن مقدمو الرعاية من العثور عليه وإعادته إلى بر الأمان. ولا ننسى التطبيق المتوفر في جميع الهواتف الذكية تقريبا، الذي يحسب عدد الخطوات التي يمشيها الفرد ويقوم بإرسال تقرير يمكن مشاركته مع الأصدقاء في مواقع التواصل الاجتماعي بعدم التشجيع وتحفيز الآخرين. وختاما فإن على المسؤولين عن تقديم الخدمات الصحية إعادة النظر في استراتيجيات التثقيف وإيجاد سبل جديدة لمشاركة المريض وتحثه لفة العصر وتبني من التقنيات المتوفرة، ليتمكن الجميع من بناء مجتمع صحي معرفي يساهم في تقدم الصحة للجميع.